سلسلة الرسائل (٩)

مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٢هـ

دوام الطاعة
بعد انقضاء شهر العبادة

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ
مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

الوادعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله ونبيه محمد الأمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد.

فنحمد الله سبحانه وتعالى إذ وفقنا لصيام شهر رمضان وقيامه، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ القبول.

وإن مما يشرع لنا فيه الفرح والسرور أن أنعم الله عَزَّوَجَلَّ علينا بإتمام صيام شهر رمضان، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس]. ويقول النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما في «الصحيحين» البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١): «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والفرح بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ وبإدراك الطاعات ومواسم الخير علامة على وجود الإيمان وعلى الخير، قال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [التوبة]. يستبشرون بفضل الله، وبرضى الله، وبما يقرب إلى الله سبحانه.

فنعمة عظيمة أن أنعم الله علينا بإدراك شهر رمضان وإتمامه، نسأل الله أن يتقبل منا الطاعات ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة].

نعمة عظيمة أن الله عَزَّوَجَلَّ تفضَّل على عباده وامتنَّ عليهم بمواسم الخير، يتسابقون فيها إلى الآخرة ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين].

فلقد كنا في أيام مباركة في شهر رمضان شهر القرآن والإحسان، ولقد كان النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حريصًا على الاجتهاد في الطاعات في رمضان وفي غيره ولكنه كان في رمضان أشد حرصًا؛ لأن شهر رمضان موسم من مواسم الخير والطاعات، فقد روى البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ».

يعني إقبال عظيم في شهر رمضان على الجود والإحسان، وعلى القيام بالطاعات والقربات، فهذا هدي النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: المجاهدة في طاعة الله والإقبال على الآخرة في رمضان وغيره، ولكن في رمضان كان أشد حرصًا على الطاعات؛ وذلك لأن شهر رمضان ينبغي فيه المجاهدة في الطاعات والقربات.

وعلينا أن نستمر على ما كنا عليه من الخير والإقبال على الله عَزَّوَجَلَّ. فعبادة الله سبحانه وتعالى لا تنتهي بانتهاء رمضان، يقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر]. أي: حتى يأتيك الموت.

فينبغي أن نستمر على الخير الذي كنا عليه في شهر رمضان يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ [النحل:٩٢]. فلا ننقض ما كنا عليه، بل علينا أن نستمر على الخير، نسأل الله أن يثبتنا جميعًا.

روى مسلم (٢٨١٨) عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ**» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ**

وَإِنْ قَلَّ». والشأن الثبات، الشأن الاستمرار، أما العبادة المؤقتة التي تنتهي بانتهاء الموسم فهذا من التفريط، وهذا شيء لا يحبه الله عَزَّوَجَلَّ.

إن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا في أشد الثبات على العبادة، وما تطيب أنفسهم في ترك ما اعتادوا عليه من العبادة، إنها الهمة العالية، إنه الإيمان الراسخ.

فعلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند أن جاءت فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فلم تجده وكانت تريد أن تسأله خادمًا لما حصل لها من التعب من أثر الرحى، فلم تجد النّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فأخبرت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنه إذا جاء النّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ تخبره أنها تريد خادمًا يساعدها في الأعمال -كان النساء في عصر النّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يخدمن وهن العابدات الحريصات على العلم القَوَّامات الصَوَّامات ومع ذلك يخدمن، بركة عظيمة، وسبحان الله كيف يختلف الحال وتختلف المعيشة! الآن النساء في ترف ورغدٍ في العيش، وكلما ازداد الترف كسلت الأجسام وضعفت وشُغِلَت عن العبادة؛ ولهذا الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الواقعة]. الترف قد يأتي بالكسل والنوم والحرمان والخسارة-فماذا كانت تعمل فاطمة بنت النّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وسيدة نساء أهل الجنة؟ كانت تطحن الحبوب من الشعير ونحوه بالرحى، وهذا عمل شاق ويتطلب منها وقتًا، هذا عمل شاق ويتطلب تنظيف الحب، وهذا يحتاج إلى وقت، ثم طحنه بتلك الآلة، ثم عجنه وخبزه على التنور، متاعب ومشاق ومع ذلك ما كان يُثنيهن عن طلب العلم النافع والعبادة، فبنتُ النّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ تطلب خادمًا يخفف عنها ما تجد من العناء -والخادم: يطلق على الجارية وعلى الغلام-(١)، فبعد ذلك جاء النّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ إلى علي بن أبي طالب وإلى فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقال: «أَلا أُخْبِرُكِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ

---

(١) خَدَمَهُ يَخْدُمُهُ خِدْمَةً فَهُوَ خَادِمٌ غُلَامًا كَانَ أَوْ جَارِيَةً، وَالْخَادِمَةُ بِالْهَاءِ فِي الْمُؤَنَّثِ قَلِيلٌ. «المصباح المنير» (١٦٥).

مِنْهُ؟ تُسَبِّحِينَ اللَّهَ عِنْدَ مَنَامِكِ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدِينَ اللَّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ».

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-وهذا هو الشاهد-: فَمَا تَرَكْتُهَا بَعْدُ، قِيلَ: وَلا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ قَالَ: وَلا لَيْلَةَ صِفِّينَ» رواه البخاري (٥٣٦٢) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

«وَلا لَيْلَةَ صِفِّينَ» ثبات عظيم، ما شُغِل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-مع ما هو فيه من المعارك الطاحنة- عن هذا الذكر، أما نحن يمكن أدنى شيء ونغفل عن الأذكار، ونهبُط ويفوتنا الخير.

وعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -ذلك الصحابي الجليل الملقب بعابد الصحابة، وأبوه أكبر منه بإحدى عشرة سنة-يقول: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ- والكَنَّة زوجة الولد يتفقدها ويسألها عن حالها[1]-فسألها مرة، فقالت: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ. مشغول بالعبادة، فذهب والده إلى النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأخبره بحال ولده وأنه قد بالغ في العبادة. فقال له النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟**» فقال: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ له النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثَةً، وَاقْرَإِ القُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**»، فجعل يقول للنّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، فانتهى النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن قال له: «**صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً**»، فلما كبر عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-والكِبر مظنة الضعف والتغير، ورقَّة العظام وتعب الأجسام-ندم وتمنى أنه قبل رخصة النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وقال: لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما أحبَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه يترك شيئًا فارق النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عليه، ليس عليه حرام أن يخفف ولكن ما أحب أن يترك

---

(١) (الْكَنَّةُ) بِالْفَتْحِ امْرَأَةُ الِابْنِ وَجَمْعُهَا (كَنَائِنُ). كما في «مختار الصحاح»(٢٧٤).

شيئًا فارق النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عليه. والحديث رواه بنحو هذا البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩).

هذا دليل على أن الصحابة كانوا حريصين على المداومة على العمل.

فاحرصي على المداومة على ما كنت عليه؛ لتكوني من الفائزين الموفَّقين الرَّابحين، وسلي الله الإعانة على ما كنت عليه، ولا تنقُضِي ما كنت عليه، ربما من ليلة العيد ما فيه صلاة ليل، هذا تفريط وحرمان، أين وصلنا إلى هذا الهبوط؟! داومي على ما كنت عليه على حسب ما ييسر الله لك.

فقيام الليل عبادة عظيمة ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة]. فاحذري التفريط ولو ثلاث ركعات على حسب ما ييسره الله لك، فلا تفرطي في قيام الليل الذي كنت حريصة عليه في شهر رمضان. النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يَا عَبْدَ اللَّهِ، لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**»(١).

وهكذا في شهر رمضان قد يحافظ على الرواتب، فإذا ذهب رمضان لم يحصل شيء، هذا خطأ، هذا تقصير، الله عَزَّوَجَلَّ هو رب رمضان ورب شوال، وهو رب سائر الشهور والأعوام.

فاحرصي على الرواتب والنوافل في رمضان، ولا تكوني من اللاتي إذا انتهى رمضان تصلي الفريضة وتكسل عن الرواتب، فهذه خسارة.

النوافل تعتبر مكملة للنقص الذي يكون في الفريضة، كما قال النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:، قَالَ: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ أَتَمَّهَا كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَتَمَّهَا، قَالَ: انْظُرُوا تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَأَكْمِلُوا مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَتِهِ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ**

(١) البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩) عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ذَلِكَ» رواه الإمام أحمد (٣٤/٢٩٣) عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو في «الصحيح المسند» (١٤٧٨) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

أي: أن الفريضة تكملها النوافل.

وهكذا مما يقبل فيه الناس في رمضان على قراءة القرآن، وفعل العبادة في شهر رمضان ميسر، والنفوس مذللة أكثر من بقية الشهور؛ لأن الشياطين مربوطة بالسلاسل، فتخف المعاصي، وتندفع النفوس للعبادة، لكن مع ذلك احرصي على وردك القرآني الذي كنت تقومين به، فالقرآن الكريم سعادة يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر]. هذه هي التجارة الرابحة تلاوة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فما اعتدتيه من قراءة القرآن في شهر رمضان احرصي عليه في سائر الأوقات، فنحن جميعًا بحاجة إلى أن نغذي قلوبنا بالقرآن، بحاجة إلى سعادتنا، والقرآن من أعظم طرق السعادة عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» رواه البخاري (٥٠٢٧).

فاحرصي على القرآن الكريم، وكما كنت أيضًا حريصة على القرآن، وعلى تصويم الجوارح، وعلى الحذر والبعد من المعاصي، فكذلك احرصي على ذلك بعد رمضان حتى لا تكوني ممن قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾.

احرصي على الصيام، ولو ثلاثة أيام من كل شهر مع صوم شهر الصبر، فعَنْ رَجُلٍ مَنْ بَنِي أُقَيْشٍ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ يُذْهِبْنَ وَحَرَ الصَّدْرِ**» رواه أحمد (٣٤/٣٤٢)، وهو في «الصحيح المسند» (١٤٥٨) لوالدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

ومعنى «**وحر الصدر**» غِشُّه ووَساوِسُه. كما في «النهاية» (٥/ ١٦٠).

ولو يومًا واحدًا فقد ثبت من حديث أبي عقرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّوْمِ، فَقَالَ: «**صُمْ يَوْمًا مِنَ الشَّهْرِ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي زِدْنِي، قَالَ: «**تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي زِدْنِي، يَوْمَيْنِ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي زِدْنِي إِنِّي أَجِدُنِي قَوِيًّا، فَقَالَ: زِدْنِي زِدْنِي، أَجِدُنِي قَوِيًّا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيَرُدُّنِي، قَالَ: «**صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ**» رواه النسائي (٢٤٣٣).

ومع ما في الصوم من الفضائل الكثيرة، وما فيه من الصحة والوقاية من كثيرٍ من الأمراض.

وإذا كنت في رمضان حريصة على صدق اللسان، فاحرصي عليه بعد رمضان، فالصدق من صفات المؤمنين قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]. وقال النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**» رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إذا عودتي لسانك، والصائم حريص إذا وُفق أن يسلَم له صيامُه من نقص الأجر، ومن سلم له رمضان نرجو أن يوفقه الله فتسلم له سائر سنته، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «زاد المعاد»(١/ ٣٨٦): وَمَنْ صَحَّ لَهُ رَمَضَانُ وَسَلِمَ سَلِمَتْ لَهُ سَائِرُ سَنَتِهِ. اهـ.

فإذا عودنا ألسنتنا على الخير وصوَّمناها عن الكذب والغيبة والنميمة فلنحرص على ذلك بعد رمضان، ونستمر على عبادة الله عَزَّوَجَلَّ، ونستمر على ما كنا عليه، والشأن هو الثبات.

وإذا كنت حريصة في رمضان على طهارة قلبك وصفاء قلبك وغسل قلبك من الأمراض، من أمراض الحسد والكبر والنفاق، فكذلك احرصي على هذا بعد رمضان، فلا تتعالي ولا تترفعي على الضعيف ولا على أحد، فإن هذا من أسباب دخول النار ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر].

وقد جلس عبد الله بن عمر جلس ذلك الصحابي الجليل إلى عبدالله بن عمرو فحدثه بحديث وهو أن النّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ، أَكَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ**» قلبه الله على وجهه في نار جهنم، فجعل عبدالله بن عمر يبكي خوفًا من هذا الوعيد-الصحابة كانت قلوبهم رقيقة، وكانوا يخافون من أدلة الوعيد ومن يوم القيامة ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور]، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان]-فجعل يبكي لما سمع هذا الحديث، يخاف على نفسه-ما نأمن على أنفسنا من الكبر- فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ:-هَذَا يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو-زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. الحديث (١).

فلنحذر أن يكون في قلوبنا شيء من التعالي لا على فقير ولا صغير ولا ضعيف، فالكِبر ليس بسهل، فلا يغرنَّك الشيطان وينفخ فيك بسبب ما أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليك من الملابس والذهب

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد (٧٠١٥) عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: الْتَقَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي عَلَى الْمَرْوَةِ، فَتَحَدَّثَا، ثُمَّ مَضَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَبَقِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ:-هَذَا يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو-زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ، أَكَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ» وهو في «الصحيح المسند» (٨٠٠) لوالدي رَحِمَهُ الله.

والصحة والنعم، فهذا الذنب كبيرة من كبائر الذنوب، فحاسبي نفسك وتفقدي نفسك، واحرصي على سلامة قلبك من الآثام والأمراض.

فكما كنا حريصات في شهر رمضان على صفاء قلوبنا فكذلك نحرص بعد رمضان أن تكون قلوبنا صافية نقية.

فلا نرجع إلى الوراء بعد رمضان، علينا أن نحرص على ما كنا عليه في رمضان ونسدد ونقارب، واسمعي إلى هذا الدعاء الجامع العظيم:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ» رواه مسلم (١٣٤٣)

هذا الدعاء من أدعية السفر.

ومعنى «وَعْثَاءِ السَّفَرِ» مشاقه وشدائده ومتاعبه.

«وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ» أي: الرجوع، المسافر يدعو أن يرجع إلى أهله مسرورًا، ولا يرجع بمصيبة في نفسه، أو في أهله.

«وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ» هذا الشاهد، الرجوع من الطاعة إلى المعصية، ومن الاستقامة إلى الانحراف، ومن العافية إلى المرض، ومن الغنى إلى الفقر، فهذا لفظ عام، وهكذا لا نرجع إلى الوراء، ولا نرجع من الحور بعد الكور، لا نتكاسل عن الخير، لا نضيع أنفسنا، ونضيع أوقاتنا.

الاستعاذة الرابعة: «وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ» وهذه خطيرة، اللّهم إنا نعوذ بك أن نَظلم أو نُظلم، «**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، كما يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

---

(١) البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فالحديث يفيد التحذير من دعوة المظلوم. يقول النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ**» رواه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ، حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللَّهُ دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**» رواه ابن ماجه (١٧٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في «الصحيح المسند» تحت رقم (١٣٥٨) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

دعوة المظلوم لا ترد، يقول والدي رَحِمَهُ اللَّهُ وغفر له: دعوة المظلوم قد تُدَمِّرُ دُوَلًا.

والاستعاذة الأخيرة: «وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ» أن يراهم على حالة سيئة، فانظرن أخواتي في الله إلى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ» فليس من السهل أن نطبق المصاحف، ونهمل قيام الليل، ونتكاسل عن الطاعات التي كنا نحرص عليها. فعلينا أن نستعين بالله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

أيها الأخوات إن في شهر رمضان عبرة وموعظة، لقد كنا في استقبال شهر رمضان وما هي إلا أيام وقد انقضى، ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]. إن هذا يذكرنا بأعمارنا، ليذكِّرنا بهذه الحياة وأنها أيام قليلة، وإذا تأملنا في الماضي من أعمارنا كأنها أضغاث أحلام، وهذا يدل على مرور الأيام وأنها سريعة الانقضاء؛ فلهذا علينا أن نقبل على طاعة الله ونقدم للآخرة ونثبت على الخير، قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝٣٣﴾ [لقمان].

أسأل الله عزوجل أن يتقبل صيامنا وقيامنا وطاعاتنا، ونسأل الله أن نكون ممن عمتهم رحمة الله في ذلك الشهر، وممن فازوا بليلة القدر.

ونُذَكِّر أنفسَنا أن الله عَزَّوَجَلَّ قد منَّ علينا بصيام ست من شوال عقِب رمضان، كما قال النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**» رواه مسلم (١١٦٤) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

تحفيز وتشجيع للمسلم وللمسلمة على الحرص على صيام هذه الست، فصيام ست من شوال بمنزلة صيام شهرين، وصيام رمضان بمنزلة صيام عشرة أشهر، وهذا كصيام سنة كاملة؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، والحسنة بعشر أمثالها في كل الطاعات، ولكن المراد هنا «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» أي: فرضًا.

هذا وأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفقنا وإياكن، والحمد لله رب العالمين.

تم إلقاء هذه المحاضرة ولله الحمد

ليلة الجمعة الموافق ١/ من شهر شوال/ ١٤٤٢ للهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام.

تم بحمد الله